القِيمَةُ التَّارِيخِيَةُ لِمُذَكِّرَاتِ خَيْرُ الدِّينِ بَرْبَرُوس ودَوْرُهَا فِي كِتَابَةِ تَارِيخِ الجَزَائِرِ العُثْمَانِي

The historical value of Khairuddin Barbaross' memoirs and its role in writing the history of Ottoman Algeria

أمحمد طاهري (Tahri M'hamed)
جامعة لُونيسي علي- البُليدة 02-
University Blida 02. Lounici Ali
مخبر الدّراسات المتوسّطية عبر العصور جامعة المدية
Researcher Of Mediterranean Studies
.Through The Ages. University Of Medea
الإيميل: tahrimhamed1981pr@yahoo.com

تاريخ الاستلام : 2019-07-19 تاريخ القبول : 2019-12-19

مُلَخَّصٌ:

لارَيْبَ أنّ كلّ مُتعامِلٍ مع النّص التّاريخي سواء كان قَارئًا أو باحثًا،تتحدّد آفاقُ معرفته وترتّسمُ ملامحُ تكوينهِ حسب ما ارتّقى إليه من معلومات،ولهذا فإنّ آفاقَ الباحث في مجال التّاريخ تتوقفُ آماله على رغبته الشخصية،ودرجة اطّلاعه على الحقائق التّاريخية،ومدى تحكّمه في التقنيات التّاريخية التي يُرجى من خلالها الوصول إلى الموضوعية التّاريخية.

ولمّا كانت المُذكّرات الشخصية،من أهم وأبرز المصادر التّاريخية ذَاتُ الطابعِ السردي المُشوّقِ والمَغْمُور بروح المغامرة والمليئة بالإشارات التّاريخية المُنْطوية عليها سطور هذه الكتابات،كانت المذكّرات العثمانية وعلى رأسها ما تركه القائد خير الدّين بربروس،ملاذًا للعديد من المؤرّخين العرب والأتراك والغربيين في معرفة البدايات الأولى للدخول العثماني إلى الجزائر،ورصد ملامح الحياة العامّة للمجتمع الجزائري خاصّة في المجال السّياسي و العسكري والإداري والإقتصادي والإجتماعي،ولعلّ ما يُشيد بأهمية هذه الكتابات أنّ أخبار الحكّام العثمانيين في الجزائر ينتابها نوعٌ من الفُتُور،نظرا لعدم ضُفْرِهم بكتاب يخلّدوا آثارهم لتكون مرجعًا لخلفهم،ناهيك عن طابعها الدقيق في عرض الأحداث التّاريخية المدعّم بالإحصائيات العددية،التي قلّما نجدها في مصادر أخرى،ممّا يمنحها نوعا من الموضوعية في عرض الظّاهرة التّاريخية.

الكلمات المفتاحية: المذكّرات ؛ الموضوعية؛ خير الدّين بربروس؛ البُعد الحضاري؛ الجزائر العثمانية.

Abstract:

The researcher's horizons in the field of history depend on his personal desire and the degree of his knowledge of the historical facts and the extent of control in the historical techniques through which it is requested that the researcher of the historical text, whether reader or researcher, Access to historical objectivity.

As the personal memos are among the most important and historical sources of narrative character, interesting and immersed in the spirit of adventure and full of historical references that contain the lines of these writings, the Ottoman memoirs and the head of what left the leader Khairuddin Barbaros a haven for many Arab historians, Turks and Westerners in the first beginnings of the Ottoman entry Algeria and monitor the features of the general life of Algerian society, especially in the political, military, administrative, economic and social, and perhaps praises the importance of these writings that the news of the Ottoman rulers in Algeria is suffering from a kind of apathy because of their lack of a book that immortalizes their effects as a reference to their successor, not to mention their precise nature in presenting the historical events supported by numerical statistics, which are rarely found in other sources, giving them some sort of objectivity in presenting the historical phenomenon.

Keywords: Memoirs; Subjectivity; Khairuddin Barbaros; Cultural Dimension; Ottoman Algeria.

مُقَدِّمَةٌ:

تكتسي المذكّرات الشّخصية والسّير الذّاتية أهميةً بالغةً في الكتابة التّاريخية عامّة ولتاريخ الجزائر خاصّة،لكونها مادةٌ خام تنّطوي على العديد من الأحداث التّاريخية التي يمكن من خلال إِنارةُ دَرْبِ الباحث،للوصول إلى الحقيقة التّاريخية النِسبية.

ولـمّا كان التّاريخ العثماني حلقةً مهمّةً من التّاريخ الجزائري،فقد كان لمذكّرات القائد التركي خير الدّين بربروس،مَكانةٌ في أوساط صنّاع التّاريخ؛لكونها شهادةٌ حيّةٌ لأحداث عصره،حيث كانت له مساهمة في صنع القرار السّياسي والعسكري أيّام الحرب والسلم بين الخلافة العثمانية،والممالك الأوربية والدّولة الجزائرية.

من هذا المنطلق،تبدو أهمية هذه المذكّرات في كتابة التّاريخ العثماني خاصّة في مراحله الأولى،لذا جاءت هذه الورقة البحثية تهدف إلى إبراز القيمة التّاريخية لها؟وما مدى مُلامستها للموضوعية التّاريخية وإبتعادها عن الذّاتية في تناول الأحداث التاريخية؟

وللتّفصيل في هذا الطّرح؛فقد تمّت معالجة هذا العمل للبحث في دراسة شخصية خير الدّين بربروس ومسألة قدومه إلى الجزائر؟أهم آثاره الفنية والأدبية؟الوقوف على إبراز الأبعاد الحضارية والتّاريخية لهذه المذكّرات في جانبها العثماني والجزائري؟ومدى مُلامستها للموضوعية التّاريخية وإلى أيّ درجة يمكن الإعتماد عليها في كتابة تاريخ الجزائر العثماني؟.

1- شَخْصِيَّةُ خَيْرُ الدِّينِ بَرْبَرُوس:

تضاربت النّصوص التّاريخية حول الأُصول الأوّلى لهذه الشخصية،فالبعض منهم يرجعه إلى الأصول اليونانية المتّصلة بجزيرة مِدِيلِي(Medelin)المسمّاة قديما بجزيرة لِيسْبُوس (اليونان حاليا)،خاصّة الإسطُوغرافيا الأجنبية التي حاولت إعطاء هذه الشخصية طابعًا أوربيًا محضًا[01]،في حين نفت المصادر الإسلامية هذا التّوجه وربطت أصوله بالإسلام والمسلمين[02].

يتّصل نسبه بأبيه يعقوب بن يوسف،الذي نشأ بمنطقة الأناضول حيث كان له أربع إخوةٍ وهم:عُرُوج وخِضْر وإلياس وإسحاقُ وأُختان،على أنّ أصل أمّه يكتنفه الغُمُوضُ من حيث انتسابها إلى الرّوم الرُهبان أو إحدى نساء الأندلس[03].

وُلِدَ خيرُ الدّين بربروس بمدينة مِديلي حوالي888هـ/ 1483م وتوفي سنة953هـ/1546م،و دفن بموضع شَكْطَاشْ(تركيا حاليا والقريبة من العاصمة إسطنبول) بساحل البُوسْفُور عن عُمرٍ يناهز 63سنة[04]،حيث تميّز بالعديد والصفات الخُلُقيّة والجسمانية التي تؤهّله لحمل مشعل القيادة بغرب المتوسط،ولعلّ تكوينه قد جعل منه شخصًا مَربُوعًا غَليظَ البِنية ذو شَجاعةٍ ونَباهةٍ وعلمٍ وزُهدٍ وتَقوى وحِلمٍ ورَأفةٍ،ناهيك عن قدرته القيادية وحِنكته السّياسية،إضافة إلى أُفُقه الواسع واطّلاعه على الحضارات من خلال امتلاكه لِحسٍّ مُرهفٍ ولُغاتٍ مُتعدّدةٍ جعلته كَثيرَ التواصل مع كلّ المستجدّات[05].

والظّاهر أنّ خير الدّين قد اتّخذ من المجال التّجاري أولى النّشاطات العملية في حياته اليومية، لتتاح له الفرصة في التدرّج بالمناصب الإدارية للدولة،ولعلّ من أبرز الألقاب التي مُنحت له لقب قُبْطَان بَاشَا من طرف السلطان العثماني سليمان القانوني(927-974هـ/1520-1566م) سنة940هـ/1533م،ليكون مُعتليًا أمير البحرية العثمانية جرّاء ما قدّمه من أعمال لِنُصرة المسلمين في الحوض الغربي للبحر المتوسط[06].

وبذلك فإنّ الصفات المميّزة لهذه الشخصية قد جعلت منه شخصيةً سياسيةً مجاهدةً تدافع عن الإسلام والمسلمين،لذا يعدّ من الأوائل الذين حملوا مشعل الجهاد البحري،وإحدى الشخصيات التي مهّدت لتأسيس الجزائر العثمانية [07].

2- خَيْرُ الدِّينِ وَمَسْأَلَةُ القُدُومِ إِلى الجَزَائِرِ:

لا شك أنّ الوضع المتأزّم الذي مرّت به بلاد المغرب الإسلامي عامّة والمغرب الأوسط بشكل خاص،كان له الأثرُ البالغُ في بروز القوّة البحرية العثمانية المُنْقِذة في أعالي البحر الأبيض المتوسّط،التي قادها الأخوين عرّوج وخير الدّين،والتي تميّزت عُمومًا بظهور إرهاصات الحروب الصليبية البحرية؛لذا كانت المنطقة الغربية لهذا الحوض قُطْب الرَّحَى لهذا الصراع الدّيني والإيدُيولُوجي،الذي تحمّلت تبعاته الدول التي اعتبرت

كياناتها السّياسية خليفة للدّولة الموحّدية،ومنهم بني عبد الواد مؤسسي الدّولة الزّيانية[08].

ومن هنا فإنّ هذا الإنفلات السّياسي الداخلي والخارجي لدويلات المغرب الإسلامي،قد شجّع حَملةَ الصليب من الإسبان خاصّة على إحتلال المدن الساحلية كوهران،التي سقطت سنة915هـ/1509م،والمرسى الكبير911هـ/1505م،وبجاية سنة916هـ/1510م والعَبَثُ بها وإهانة سكّانها وتسليط العقوبات المالية عليهم[09]،لذا كان هذا الوضع دافعا للسكان لطلب النّجدة من الأخوين، عن طريق مجموعة من العلماء والأعيان من مدينة بجاية سنة921هـ/1515م،فكان لهم ما أرادوا من النُصرة والغزو ضدّ المحتل[10]،ولعلّ هذه المحاولات دفعت سكان تلمسان لطلب النجدة أيضا من عرّوج الذي اتّخذ من بجاية مُستقرًا له بادئ الأمر[11].

تمكّن الأخوين من دخول الجزائر،وقيامهم بحمل لواء الدّفاع عن المسلمين بها خاصّة بالمدن الساحلية،التي حُرِّر أغلبها من الإحتلال الإسباني زمن عرّوج الذي انتهى به المطاف قتيلاً في ضواحي تلمسان،ليتحمّل خير الدّين مواصلة المشروع العثماني في الجزائر[12]:إلاّ أنّ الأوضاع المحيطة به جعلته يَهيمُ بالرّحيل لولا إصرار أهل المنطقة على ضرورة بقائه حفاظًا على الأراضي التي افتتحها،ممّا جعله يَجْنحُ عن رأيه على شرط تبعية الجزائر للخلافة العثمانية، زمن سليم الأوّل الذي أعلن حمايته لها وتعزيز قوّة خير الدّين بالمنطقة،حيث كُلِّل هذا العمل بنجاح باهر طُرِد على إثره الغُزاة[13].

وبهذا العرض يمكننا القول أنّ مسألة قدوم خير الدّين إلى الجزائر،مرتبطة بالدّعوى التي وُجهت للأخوين في سبيل طرد الغُزاة الصليبين من أرض الإسلام،لذا فقد كان لهذا الأخير الفَضلُ في إرساء قواعد الجهاد البحري غرب المتوسط،مُشكّلاً قوّةً بحريةً مُتوسطيةً دفاعية، انتهت بإنطلاقة فِعْليةٍ في بناء الدّولة الجزائرية العثمانية.

3- الآثَارُ المَادِيَّةُ والفَنّيَةُ لِخَيْرُ الدِّينِ بَرْبَرُوس:

تركت شخصية خيرُ الدّين العديد من المنشآت الفنية والمعمارية،التي تخلّد أعماله بالجزائر العثمانية،والتي لا تزال إلى اليوم شاهدة على آثاره بالمنطقة،ولعلّ من أبرزها مصنع البارُود التي أُتّخذ مِعْوَلاً لصناعة المدافع والذّخيرة،تفاديا إلى استيراد هذه المعدّات من مناطق أخرى،لذا فقد كَلَّفَ العديد من أهل الحرف والصّناعات العسكرية،بضرورة الإستفادة من الإمكانات المحلية لتطوير هذه الصّناعة،كما شيّد بعض الحصون والجسور،نظرا لطبيعة الدّولة العسكرية التي اعتمدت على القوّة البحرية لمواجهة ضربات الغُزاة،ومنها كَاسِرُ الأمواج الذي يربط حصن البِينُون بمدينة الجزائر،إضافة إلى العديد من المساجد والجوامع التي تعكس ميله للإسلام وإعلان راية المسلمين[14].

والمُلاحظُ من خلال هذه المنجزات المعمارية،أنّ شخصية بربروس كانت أكثر ميلاً للطّابع المعماري الفني،أو البنايات ذات التّوجه العسكري،نظرا لطبيعة الدّولة الفَتِية التي تحتاج إلى قواعد تحصينية لصدّ ضربات الأساطيل الأوربية التي تحرّكها النّزعة الصليبية.

في حين أنّ التراث الفني الأدبي في تاريخ خير الدّين قد كان غائبًا،ونقصد بالذّكر ما كتب عنه[15]،أو أملاه من قريحته على شكل مذكّرات شخصية،ولعلّ ما يساندنا في هذا التّوجه ما أشار إليه المؤرّخ أبو القاسم سعد الله بقوله:"**قَليلةٌ هي الأخبار التي تتحدّث عن سير حكّام الجزائر خلال العهد العثماني،وقَليلٌ هم أولئك الحكّام الذين ظفروا بعناية الكتّاب المعاصرين لهم،فخلّدوهم في كتاب أو قصيدة،ولولا الأخبار التي وردت عن عرّوج وأخيه خير الدّين في كتاب الغزوات لما عرفنا عنهما إلاّ أسماءهما...**"[16].

ومن هنا فإنّ الإشارة إلى مذكّرات خير الدّين بربروس،والتي لم يصل منها إلاّ ما تُرجم إلى العربية من طرف بعض الباحثين الجزائريين، وعلى رأسهم الدّكتور محمّد دراجي بِمعيةِ جَمهرةٍ من الأساتذة المحلّيين والأتراك، والتي من خلالها يمكن رصد التّاريخ الجزائري وعلاقته بالتّاريخ العثماني.

4- مُذَكِّرَاتُ خَيْرُ الدِّينِ (الأُسْلُوبُ- الأَهَمِيَّةُ):

تُشكّل مذكّرات البحار خير الدّين بربروس، من أهم المصادر التّاريخية التي تَعكسُ السيرة الذّاتية لهذا القائد المجاهد في العصر الحديث،حيث تعد هذه الأوراق حصيلةً تاريخيةً لعديد السنوات والتّجارب الشخصية التي أَلْقَت بضلالها على ضفتي المتوسّط،لتلامس الحضارة العثمانية شرقا،والدّولة الجزائرية غربا،ولتنافس الضّفة الأخرى من المتوسّط الأوربية الصليبية.

لقد كان للأديب سيدي علي مُرادي دورٌ رياديٌ وحَظٌّ أَوفرٌ في كتابة هذه المذكّرات،التي أملاها له خير الدّين بناءًا على أمر من السلطان سليمان القانوني-منذ خروجه من المدينة ميديلي مسقط رأس الأخوين - عن أهم الغزوات التي قاما بها وكيف تمّ فتح بلاد الجزائر ومقاومة الغزاة من الإسبان [17].

والمُلاحظُ أنّ هذه المذكّرات قد كتبت من الذاكرة بحضور صاحبها؛لذا فإنّ أمر إسقاط بعض الأحداث التّاريخية مُمْكِن الوقوع؛لكون الكتاب موجّه للسلطان الذي عرف بشدّته وحزمه،أو ربّما كان حافلاً بالايجابيات والمساوئ، لأنّ الغَرَضَ منها الإستفادة من تجارب خير الدّين في التّعامل مع النّصارى خصوصا والبربر عموما،وهذا ما يُثبتُ خُلُو هذه المذكّرات من وصف للأحوال الشخصية لخير الدّين،عكس ما تداولته المذكّرات المعروفة التي تُعطي جانبا مهما لحياتها وتكوينها الشخصي.

الظّاهر أنّ المذكّرات قد كتبت باللغة التّركية القديمة،بأمر من السلطان سليماني القانوني،دون أن تحدّد المصادر بداية كتابتها أمام غياب النسخة الأصلية المخطوطة،حيث نشرت لأوّل مرة من طرف الصحفي التركي **يَلْمَاز أُوزْتُونَا** بمجلّة الحياة التّاريخية سنة1410ه/1989م،ثمّ نشرت على شكل مذكّرات سنة1416ه/1995م تحت عنوان:"**غزوات خير الدّين باشا**"،ونظرا لما تحويه من فائدة تاريخية،فقد تُرجمت إلى عديد اللّغات لأهميتها في كتابة التّاريخ العثماني والمتوسّطي عموما،والجزائري خصوصا[18].

تميّزت المذكّرات على العُمُومِ بسلاسة الأسلوب وبساطة اللّغة المفهومة،بحيث تنطلق من الدّافعية الأولى لكتابة سيرته،لذا كانت في معظمها سهلة الفهم،وبذلك فإنّ الغرض منها هو إيصال رسالةٍ للقارئ تُتِيحُ له التعرّف على أمجاد وبطولات خير الدّين ضدّ الأعداء من الصليبين الإسبان،وعن نصرة الإسلام والمسلمين في بلاد المغرب،ولعلّ هذا التوجّه في ما بدى واضحًا في الخطاب الدّيني المؤثّر الذي أشار إليه،في ذلك الصراع المحتدم بين المسلمين والنّصارى،ورغم ذلك فقد أظهر نوعًا ما روح العصر،ونمط التّفكير المنتشر آنذاك بعقلية عُثمانيةٍ مُتحضّرةٍ[19].

5- البُعْدُ الحَضَارِيُّ والتَّارِيخِي لِمُذكِّرَاتِ خَيْرُ الدِّينِ بَرْبَرُوس:

لارَيْبَ أنّ المتصفّح لمذكّرات خير الدّين بربروس،سوف يجد لا مَحالةَ قيمةً تاريخيةً متشعّبةً بالأحداث والحقائق،التي تربط الضفّتين بالجزائر،لذا تعد سيرته شاهدًا على العصر بإعتباره أحد صنّاع التّاريخ،ورُغم ميل هذه المذكّرات لتمجيد الذات،إلاّ أنّها تنطوي على العديد من الجزئيات التّاريخية،التي يمكن اللّجوء إليها لإزالة بعض الغموض الذي يَكتنفُ المراحل الأولى من تاريخ الجزائر العثماني،وعلى هذا الأساس فإنّه يمكن تقسيم هذه الأبعاد الحضارية والتّاريخية إلى عدّة قيمٍ وفوائدَ تاريخية:

1/5- المَجَالُ السِّيَاسِيُ:

تناولت مذكّرات خير الدّين بربروس جانبًا مهمًا من التّاريخ السّياسي المشترك بين الجزائر والخلافة العثمانية،ذات التوجّه الإسلامي والعالم الأوربي الغربي المسيحي،حيث أشار إلى جوانب من حياة سلاطين الدّولة العثمانية خاصّة سليم الأوّل(875-927ه/1470-1520م)وسليمان، وشَذراتٍ مُتناثِرةٍ من تاريخ محمّد الفاتح بن مراد(856ه/1452م - 887ه/1482م) [20].

وحِرْصًا منا على الإستفادة من هذه المذكّرات التي جاءت أحداثها متشعّبة، فأحيانا تشير إلى التّاريخ العثماني عامّة،وأحيانا تخصّص فُصولاً للحديث عن تاريخ الجزائر العثماني في بداياته الأولى،قُمنا بفصلهما لتعميم الفائدة:

أ- التَّارِيخُ العُثْمَانِي:

يبدو أنّ الأخوين قد كان لهما الحُظْوة لدى السلطان العثماني سليم الأوّل،بعد وِسَاطةٍ من سلطان تونس،الذي أشاد بهما في مجلسه نظير أعمالهما البطولية ضدّ المسيحيين بالمتوسّط، حيث تمّ منحهما سفينتين ووسَامين على أعمالهما،خاصّة بالمراحل الأولى لبداية الجهاد البحري[21]،وبذلك فقد تسلّم الأخوين قيادة البحرية العثمانية بالمتوسّط تحت حماية السلطان العثماني،والتّخلي عن صفة القرصنة،لذا كان العمل والجهاد البحري لهما وظيفةً شرعيةً لنصرة الإسلام والمسلمين [22]،وبعد وفاة عُرّوج تسلّم خير الدّين مِشعل قيادة الأسطول،بعد قيام القائد البحري آيْدِينْ بتزكية خير الدّين عند السلطان العثماني،و تقديمه له العديد من الهدايا،حيث أوصاه السلطان بمواصلة الجهاد ضدّ الإسبان،لذا أعطاه الرّاية العثمانية البيضاء التي

ترفع عند باب بَاشَوِية الجزائر كلّ يوم من شروق الشمس بالموسيقى العسكرية والتي تحفظ في لُفافةٍ خاصّة بها،كما أنّها تُثَبَّت بالسفن أيّام الغزو [23]،ولعلّ من أبرز ما كُلِّفَ به خير الدّين هو قيادة أكبر أُسطولٍ في العالم لشنّ حملة ضدّ إسبانيا المسيحية[24].

ب- التَّارِيخُ الجَزَائِرِيُ:

لم تَخْلُ مذكّرات خير الدّين من الإشارة إلى التّاريخ السّياسي للجزائر،حيث أشار إلى رسالة الإستنجاد سنة918هـ/ 1512م من سكان بجاية إلى الأخوين في وقت كانا فيه مُقبلَين على إنقاذ أهالي الأندلس،مرورا بسَبْتة بالمغرب الأقصى؛ حيث تدعو الرسالة إلى تقديم المساعدة ضدّ الإسبان الذين حرموا السكان من ممارسة الشعائر الدّينية و تعليم أبنائهم[25].

* السيطرة على تَنَس الساحلية بعد طرد الإسبان منها،وتأديب الخونة خاصّة إبن أخ ملك تلمسان أبو محمّد عبد الله الثاني المتوكّل(924-925هـ/1518-1519م) [26].

* الإعلان الرسمي عن بداية تبعية الجزائر للخلافة العثمانية،بتعيين خير الدّين بَايْلَرْبَاي على الجزائر، حيث أمر بالدّعاء على المنابر بإسم السلطان العثماني سليم، وضرب النّقود بإسمه،كما نوّه برغبته في السيطرة على المغرب الأقصى ليصبح سليم سلطان شمال إفريقيا[27].

والمُلاحظُ من خلال هذه المذكّرات أنّ خير الدّين كان شديد الإطّلاع على جميع الأوضاع السّياسية المحيطة بالدّولة،خاصّة أمر المغرب الأقصى الذي كان يعاني من الأزمات الداخلية، فقد ذكر أنّها على قدر من القوّة أكثر من تونس وتلمسان[28]،ومن الإشارات الدّالة على تحكّمه بالوضع السّياسي؛إطّلاعه أيضا على جميع التحالفات التونسية الزّيانية مع الإسبان ضدّ الأتراك،سرًا وعلانيةً، رُغم ما قدّمه الأتراك لتونس الحفصية التي ازدهرت تجارتها بفضل تحررها من سيطرة الجَنْوِيين،أهل الجنوة المدينة الإيطالية الساحلية[29]،كما أشار أيضا إلى تعيينه لِحَسن أَغَا،بعد رجوعه من السفر من إسطنبول بمنصب كبير الجزائر[30].

2/5- المَجَالُ العَسْكَرِيُ:

أ- التَّارِيخُ العُثْمَانِي:

تُعدُ هذه المذكّرات من أهم المصادر العثمانية التي تشير إلى التّاريخ العسكري البُطُولي للبحرية العثمانية بالمتوسّط،حيث جعل خير الدّين لهذه الأخيرة، فُصولاً هامّةً من تاريخ حياته فِداءًا للخلافة العثمانية،إضافة لكون هذه المذكّرات،حصيلةٌ هامة لمسيرته الجهادية التي بدأها بإشارته إلى فرقة فرسان السَباهِية،وولوع الأخوين منذ الصغر بركوب البحر،خاصّة عرّوج الذي أخذ على عاتقه حماية السفن التّجارية خاصة القادمة من الهند [31].

والمُستشفُ من خلال ما ذكره خير الدّين،هو سيطرة فرسان جزيرة رُودس بالمتوسّط وأسرهم لأخيه عروج،لذا كان عداؤه لهم واضحا،من خلال محاولة القضاء عليهم دون جدوى [32]،والظّاهر أنّ الأخوين قد مارسا الغزو البحري بالمتوسّط خاصّة قرب جزيرة جَرْبَة التونسية،خاصة خير الدّين الذي اشترى لنفسه سفينة،كما اتّفقا مع سلطان تونس على تنشيط التّجارة بِجَرْبة،مقابل رُسُو السفن بالميناء ،إضافة إلى ممارستهم لتجارة الأسرى بالمتوسّط[33]،ونظرًا لإستقرارهم بالمنطقة،فقد تمكّنوا من ردع العديد من المحاولات للسيطرة على بجاية وأسر سفنهم[34].

والمُلاحظُ من خلال هذه المذكّرات،أنّ خير الدّين قد أشار إلى التّجهيزات العسكرية للسفن؛فكلّ سفينة بها مطبخ،و نظام غذائيٌ مُنظّمٌ يقوم على تقديم اللّحم مرّتين بالأسبوع،في حين تكون الحرية للجند في الشراء لمن لايرغب في هذا النّظام [35]،ونظرًا لإهتمامه بصناعة السفن،فقد كانت له زيارة إلى إسطنبول للتقرّب من المصانع العثمانية،التي وقف عندها مُندهشًا للقوّة البشرية المستعملة بالمصانع،التي فاقت عشرون(20)ألف عامل،ولعلّ ما أثار دهشته أيضا طلبه من البحار إبراهيم باشا(899-943هـ/1493-1536م) غزو العالم الجديد أمريكا،إلاّ أنّ هذا الأخير أشار بالإكتفاء بالمحيط الهندي والبحر المتوسّط [36].

والظّاهر أنّ بلاد الأندلس قد كان لها نصيبٌ وافرٌ من حياة خير الدّين،حيث تمّ نقل العديد منهم إلى شمال إفريقيا،خاصّة تونس والجزائر،والتي بلغت على حد ماذكره احدى وعشرين حملة إنقاذ مسلمي الأندلس،وذلك بتوصيات من السلطان العثماني سليمان الذي زوّد خير الدّين بستتة وعشرين(26) سفينة للجهاد البحري،ويُضيفُ أنّ انتصارات الأتراك بالمتوسط دفعت سكان الأندلس بالثورة على الإسبان[37].

ومن هنا فإنّ هذا الدّعم العسكري والمعنوي من طرف الإسْتِتَانَة(الباب العالي بتركيا)،قرّر السلطان العثماني غزو إسبانيا بتكليف خير الدّين بذلك،ومن أشهر المعارك معركة بُرُوزَة بين التّحالف الأوربي بقيادة أُندري دُوريا،والسفن الأوربية المتكونة من البُندقية وجنوة(الجمهوريات الإيطالية) وجزيرة مَالْطا المتوسّطية،حيث كان بها ستمائة(600) سفينة أي ما يعادل ستون(60)ألف جندي،أمّا خير الدّين فقد كان له مائة واثنان وعشرون(122) سفينة تحمل عشرون(20)ألف فقط.وقعت المعركة في 945/09/28هـ/1538م وانتهت بإنتصار العثمانيين،ما مكّنهم من السيطرة على المتوسّط مدة ثلاثين عاما تقريبا،ويذكر أنّ من أسباب إنتصار الأتراك؛ طول المدافع العثمانية،سرعة الإلتفاف عند الأسطول العثماني،الألبسة الخفيفة للجيش العثماني،عكس جند أوربا المدجّجين بالدروع الثقيلة، ناهيك عن قوّة الإيمان بالله لدى جُنده[38].

ب- التَّارِيخُ الجَزَائِرِي:

***بِجَايَةُ:**

نالت بجاية حظًا وافرًا من مذكّرات خير الدّين بتعرّضه لمحاولة تخليصها من الإسبان، حيث تكبّد الأخوين عدّة خسائر بشرية،أبرزها جُرح عرّوج الذي قُطعت يده،ثم قام بحصار بجاية البحري بمعيةألفان وثلاثة وثلاثين(2033) بحار وعشرة(10) سفن،150مائة وخمسون مدفع،وآلاف الأسرى المجذّفين،حيث حدث الإشتباك مع الإسبان دون جدوى الدخول المدينة،لعدم وفرة مدافع هَدْم الحصون،وهذا ما صعّب إحداث ثغرة بحصن القلعة،في حين وصل عرّوج خبر وصول مَددٍ اسبانيٍ عسكري بالأسلحة من جزيرة مْيُورقة الإسبانية،على سفن العشرة،والتي تمكّن منها[39].

والظّاهر أنّ الأخوين ولغرض السيطرة على بجاية،قاموا بخدعة عسكرية؛ تمثلت في رفع الرايات الإسبانية على السفن التي احتلّت من طرف الأخوين حتى ظنّ الإسبان أنّها إسبانية،ففتحت أسوار القلعة على يد خير الدّين الذي لقي أخاه بجيجل، ومن نتائج المعركة كثرة الغنائم خاصّة البارود والأسرى الإسبان،في وقت ساءت فيه العلاقات مع سلطان تونس،الذي منع البارود عنهما،ولعلّ هذا النصر دفع الملك الإسباني كَارْلُوس لمحاولة الثأر،في حين توافدت القبائل لمبايعة الأخوين اللذين عُيّنا لحماية المنطقة،ومن هذه الوفود الوفد الجزائري،ممّا دفع عرّوج لتلبية الدعوى،فخرج في خمسمائة(500) بحار لإنقاذهم،وخلّف خير الدّين على جيجل الساحلية [40].

*** الجَزَائِرُ:**

توجّهت أنظار الأخوين إلى ضرورة تحرير الجزائر من الإسبان بقبول الدعوة،حيث إنقسم الأسطول إلى جزئين: قِسمٌ قصد مساعدة الأسطول العثماني باالذهاب إلى مصر،والقسمُ الآخر عاد مع خير الدّين إلى الجزائر،والواضح أنّ عرّوج قد كُتب له الإنتصار في الجزائر رُغم مساعي الإسبان لإثبات الذات والتشبّث بميناء الجزائر الكبير،حيث بلغ جيش عروج ما بين خمسةإلى ستة آلاف جندي من البربر،الأندلسين والعرب،الذين لاخبرة لهم بفنون القتال،إضافة إلى أربعون(40) سفينة بحرية،قام عرّوج بمهاجمة الإسبان بثلاثةآلاف جندي في ليلة عاصفة حَالكةٍ،وانتهت المعركة بنصر عرّوج وأسره ألفينوسبعمائة(2700)أسيرٍ إسبانيٍ[41].

*** تَنَسْ:**

رَغِبَ عرّوج بضم مدينة تنس،التي كانت تعاني من خِلافٍ داخلي شجّعه الإسبان،الذين تظاهروا بحماية سلطان تنس،والنيل من المسلمين بَاطِنًا،حيث جعل الملك الإسباني فرقة عسكرية تنهب الخيرات وترسلها إلى إسبانيا، ولذلك توجه خير الدّين رفقة ألف وخمسمائة(1500)من الجند لتحريرها،حيث تَحصَّنَ الإسبان بأسوار قلعتها،إلاّ أنّه دخلها صُلحًا بعدما وجد الأبواب قد فُتحت نظرا لفرار الإسبان من المدينة ليلاً ،كان من غنائم معركة تنس خمسمائة(500) دينار،مائة وخمسين(150)كيل من الفلفل الأسود،خمس وسبعين(75)كيل من القرفة،خمس وعشرون(25) ألف ذراع قماش ومثلها الحرير،أربمائة(400)كيل من العسل،ستمائة(600)كيل عسل الشمع،ألف(1000)لفَّةٍ من الصوف،وكمٌ هائل من المعدّات العسكرية[42].

والبارز في الأمر،أنّ إبن أخ سلطان تلمسان قد طلب نجدة الاسبان،وتمكّن من السيطرة على تنس، ممّا آثار حفيظة عرّوج الذي عَوَّل على قتله،وتمكّن من القبض عليه بمساعدة أهالي تنس،فضرب عُنُقه نَكالاً له،أمّا سكان تنس فقد عفا عنهم لكي يُبيّن لهم أنّ هدف الأتراك هو الجهاد وليس

الإحتلال؛بدليل ماقدّموه من مساعدات للأندلس،ولعلّ هذا الأمر هو ما جعل السكان يرضخون له[43].

*** تِلِمْسَانُ:**

توجّهت أنظارُ الأخوين خاصة عرّوج لفتح تلمسان،بعدما طلب ملكها المساعدة منه ضدّ الإسبان،مع علمه بصعوبة المهمة للسيطرة عليها؛ نظرا لبعد المسافة عن الجزائر ،وعن البحر،إضافة إلى اتّساع مساحتها،لذا فإنّ إستقراره بالجزائر مرهون بإستقرار تلمسان،والظّاهر أنّ سكان تلمسان قد ثَارُوا على ملكهم ودعوا عرّوج لدخول المدينة دون قتال، حيث تمّ ذلك أمام أعين الإسبان المتحصّنينَ بوهران،ولعلّ مازاد الأمر سوءًا لدى الإسبان ،قطع عرّوج العلاقات الإقتصادية مع وهران[44].

ويذكر خير الدّين أنّ جندًا قليلاً بقي مع عرّوج بتلمسان،لكون الآخرين قد ذهبوا إلى الجزائر لمساندته،حيث بلغ جند عروج ألف (1000)جندي أمام هروب ملك تلمسان الذي تحالف مع الإسبان لإسترداد ملكه،تمكّن السلطان الزّياني من جمع عشرة(10)آلاف جندي إسباني وعشرون(20)ألف من البربر بقيادة القائد الإسباني،ولعلّ هذا العدد الهائل (ثلاثون ألف) من جند التحالف دفع عروج ليفر عن المدينة ويتحصّن بالقلعة[45].

أقبل خير الدّين على مساعدة أخيه عروج بألف(1000) جندي تركي وألفين(2000)فارس عربي بإمرة أخيه إسحاق،حيث تمكّن الأخوين من السيطرة على تلمسان،وتعهدهما بضرورة حرمان بني زيان من المُلك نهائيا لكثرة تحالفهم مع الإسبان، والملاحظ أنّ الاسبان قد انهزموا مرّة أخرى أمام عرّوج وإسحاق في معركة دامت مدة ثلاثة أيام،خسر فيها القائد الإسباني بعد أنْ جَنَّدَ لهاثلاثة وأربعين(43)ألف جندي للقضاء على عرّوج [46].

عَمدَ عرّوج على تسليم القلعة إلى الإسبان بعد مشاورة جنده،لعقد هدنة،حيث أقبل على الرحيل إلى العاصمة الجزائر،ولكن الإسبان نقضوا العهد وأغاروا على عرّوج بخمسة عشر إلى عشرون(15-20) ألف جندي،في حين كان عرّوج وجنده مُنهكونَ من الحرب وطول الطريق، قامت المعركة وحوصر فيها جند عرّوج بالنهر الذي قتل فيه أغلبهم بما فيهم عرّوج،الذي قتل مائة(100)إسباني،حيث قُطع رأسه وأرسل به إلى الملك كَارْلُوس بعدما قتل أخيه إسحاق قبله ببضعة أشهر بالقلعة،وأمام وفاة عرّوج أصبح خير الدّين مُلزمًا بحمل مشعل المقاومة[47].

وممّا تجدر الإشارة إليه،أنّ خير الدّين تمكّن من إحباطِ مؤامرةٍ اثرَ رسالة وجّهها سلطان تونس إلى ملك تلمسان للتحالف مع الإسبان ضد الأتراك،لإعتقادهما أنّ خير الدّين يريد تمديد ملكه إلى غاية إسبانيا بما فيها تلمسان وتونس، وأنّ السلطان العثماني قد كلّفه بذلك [48].

لَجأَ السلطان أبو محمّد عبد الله الثاني المتوكل المعروف بمولاي عبد الله الزّياني (924-925هـ/1518-1519م) للتحالف مع الإسبان ضدّ الأتراك،ممّا دفع خير الدّين لتأديبه، وهذا ما دفعه إلى الفرار إلى وهران،في حين تمكّن أخوه أبو سرحان المسعود(925-930هـ/1519-1523م) الذي كان مُبعدا بفاس بمساعدة خير الدّين من دخول تلمسان،وتوزيع الهدايا والغنائم على جنده وخير الدّين وبعض القواد المناوئين له،مع دفع خراج سنوي يقر بألف(1000)دينار إلى خزينة الدّولة بالعاصمة ،كما بعث له خير الدّين رسالة يستوصي فيه الرعية بعدم الظلم وعدم التحالف مع الإسبان[49].

سمعَ خير الدّين ما قام به مسعود بأهالي تلمسان؛ممّا دفع أخاه مولاي عبد الله لمراسلة خير الدّين لإسترجاع ملكه من أخيه الأصغر حيث ساعده خير الدّين بألف(1000) رجل من الجند،في حين قام خير الدّين بفتح مستغانم الساحلية القريبة من وهران بالمنطقة الغربية للجزائر،وتوطين أهل الأندلس فيها،وذلك بمنحهم أراضي زراعية بمساعدة السلطان الزّياني مولاي عبد الله[50].

لَجأَ جُند خير الدّين إلى خُدعةٍ عسكريةٍ للسيطرة على القلعة لتي تحصّن بها مسعود الزّياني من أخيه عبد الله،وهي التّظاهر بالفرار،ولعلّ ما شاهده خير الدّين،هو أنّ العرب لا خبرةَ لهم بالخدع العسكرية،عكس الإسبان فهم لا يجيدون ركوب الخيل، وأنّ أسلحتهم بسيطة، وتميّزهم بالإستماتة الحمقاء، إضافة إلى عدم معرفتهم بالقتال الجماعي،لذا كانت هذه الصفات في نظره عوامل ضعفهم ناهيك عن فرار سلطانهم دون علمهم[51].

وبذلك استسلم جُند مسعود الزّياني لخير الدّين و البالغ عددهم خمسة آلاف،حيث قام بالعفو عنهم لتصبح تلمسان

تابعة له،حيث دُعي في المنابر للسلطان العثماني سليم،ونُقش اسمه على السكّة الزّيانية الجديدة،وحكم تلمسان عبد الله الزّياني الذي أحسن وفادة الجند الأتراك، إلاّ أنّه خرج عن الطاعة بتغييره للسكّة العثمانية وعدم دفعه للضرائب المتأخرة والمقدّرة بتسعة وثلاثين(39)ألف دُوقَة،ولعلّ هذا الوضع هو مادفع خير الدّين إلى مساندة الأمير محمّد الثائر ضد والده،حيث اشتبكت القوات بمازونة القريبة من ولاية غليزان بالجزائر،قتل فيها الأمير عبد الله وتولّى حكم تلمسان ولده محمّد الذي دفع الضرائب المتأخرة[52].

*** التَّمَرُدُ العَسْكَرِيُ لِإبْنِ القَاضِي:**

كان إبن القاضي الإبن،من أمراء العرب الذين خرجوا عن سلطة خير الدّين بتحالفه مع صاحب تونس،بقوله:**"لِنَكُن يدًا واحدةً ونُخْرِجَ الأتراكَ من بِلادِ العربِ"** من خلال رسالة وقعت في يد خير الدّين،حيث سار لقتال سلطان تونس الذي أسره،ثمّ عفا عنه لإبراز إنسانية خير الدّين، والظّاهر أنّ ابن القاضي قام بمباغتة خير الدّين بعد رجوعه من تونس في وادي ضيق خسر فيه خير الدّين سبعمائة وخمسين(750)شهيدًا،فعزم خير الدّين على القضاء عليه بقوله:**" ابن الحَرَامِ هذا المدعو ابن القاضي ولَنْ أعفُو عنهُ أبدًا"** ووصفه بالبَدَوِي خاصّة لما قام هذا الأخير بالتّباهي والتّنكيل بالأسرى الأتراك وجمعه للمُؤَدين [53].

تحالف ابن القاضي مع أحد البحارة الخائنين وهو المدعو قَارَة حَسن،الذي حاول السيطرة على الجزائر العاصمة،ولكن خير الدّين كان مُتَيَقناً أن ابن القاضي لا يستطيع الصمود أمام الإسبان،ليس لقوّته العسكرية،وإنما لقلّة شجاعته كما أنّه لا يمتلك أسطولاً بحريًا،وبذلك فإنّه يرى أن إفلات الجزائر من يده سوف يؤدي إلى تمزّقها،وهذا ما يرجوه الإسبان الذي سيطروا على السواحل نظرًا لذلك التّطاحن الداخلي،لذا بدأ خير الدّين يفكر في مغادرة الجزائر والرجوع إلى القرصنة البحرية والتّخلي عن الجزائر،إلاّ أنّه كان مُتأكدًا أنّ سكان الجزائر:**"سوف يُرسِلون رَسُولاً يرجُونَنِي بِضَرَاعَةٍ أن أرجعِ إلى الجزائر وقتها سوف أرجعُ إلى الجزائر ولن تقدر أيّ قوّةٍ على إخراجي منها تارةً أخرى"**[54].

قام ابن القاضي بالهجوم العسكري على خير الدّين بقوات عددهاأربعون(40)ألف رجل، فقد فيها خير الدّين ألفين (2000) من الشهداء وألفين(2000) من الجرحى،في حين نجا منهم سبعمائة(700)من جند ابن القاضي،وعلى رأس الثائرين شيخ الجزائر الذي أُعدم وقُطّعت أشلائه ووزعت على أبواب المدينة،كما أقدم خير الدّين على أسرمائة وخمس وثمانين(185) شخص من رؤساء الفتنة،واستشار الفقهاء و جنده في أمرهم، حيث انتهى الأمر بضرب أعناقهم دون أن يمدّ يديه إلى أموالهم أو أهاليهم [55].

أَحَسَ خير الدّين بسُخط الأهالي منه ممّا جعله يفكر في مغادرة الجزائر،لكون السكان غير سعداء بوجود الأتراك،كما أنّه أحس أنّ مغادرته سوف تؤثر على الحركة التّجارية،والسكان ممّا يعرض المنطقة لحروب داخلية. هَامَ خير الدّين بالمغادرة فِعلاً؛حيث اتّجه إلى ميناء جيجل،ممّاجعل السكان والعلماء يتحسّرون عليه بقولهم:**"إذا جاء الإسبان غدا،فمن يحمينا منهم"**،ثم شرعوا يدعون على ابن القاضي، في نفس الوقت الذي سلم فيه خير الدّين مفاتيح قلعة الجزائر إلى رسول ابن القاضي قائلا له:**"هاهي مفاتيح قلعة الجزائر سلّمها لسيّدك المُتلهّفِ على السلطان والمُلك وَلْيَأْتِ إلى الجزائر لِيستمِّتعَ بالجلوس على عرشها...ولِنَنْظُر كيف يدير أمور البلاد"**[56].

في الوقت الذي وصل فيه خير الدّين إلى جيجل،وصل وفدٌ من الجزائر وتونس ومن شيوخ القبائل والعلماء يَرجُون خير الدّين للرجوع إلى الجزائر وقبول تبعيتهم للسلطان العثماني سليمان،مع القيام بدفع خَرَاجٍ سَنويٍ،إلاّ أنّه رفض ذلك وعمد على زيادة العمل التّجاري البحري في جيجل،أمام تصاعد الغضب الشعبي في الجزائر من ابن القاضي بعد تراجع الحركة التّجارية في الجزائر،لذا طلبوا من خير الدّين العودة مُجدّدًا، إلاّ أنّ ابن القاضي رفض ذلك بدعوة أنّ خير الدين خائف منه،وهذا ما رفضه قارة حسن الذي أنصف خير الدّين بوصفه بالشجاع[57] .

عمد خير الدّين على تجهيز حَملةٍ للرجوع إلى الجزائر بقيادته والقائد سِنَان باشا(927-1004هـ/1520-1596م)، تكونت الحملة من أربعة آلاف فارس، وثمايةآلاف راجل،إضافة إلى جند القبائل المؤيدة لخير الدّين. أسفرت المعركة عن مقتل ثمانمائة(800) جندي من عسكر ابن القاضي،في حين قام ابن القاضي بالإغارة على القواعد

العسكرية لخير الدّين بقوات عددهاثنى عشرة ألف(12) فارس وثمانية آلاف راجل،قُتل في هذه المعركة قارة حسن وقُتل أيضا ابن القاضي عندما كان يَهيمُ بالفرار،حيث قُطع رأسه وأرسل لخير الدّين،أمّا جيشه فقد تفرّق مابين الذين عفا عنهم خير الدّين،أو الذين دخلوا في خدمة الجُندية لديه والذين تميّزوا بعدم الطاعةِ والإنصياعِ،كما أنّه عفا عن بعض الجنود الأتراك المناوئين لثورة ابن القاضي ليكون لخير الدّين شرف دخول الجزائر بِحفَاوةٍ من الإستقبال الجماهيري[58].

وبوفاة إبن القاضي أُستأصلت بقايا ثورته بالقضاء على إبن أخيه فرحات،وتعهّده بدفع عشرون(20)ألف دُوقَةٍ لخير الدّين،وتعهّده بالإستقرار بجبال القبائل،في حين عادت الحركة التّجارية لسابق عهدها بميناء الجزائر خاصّة جمع الغنائم[59].

*** حِصْنُ البِينُونْ:**

قام الإسبان ببناء حصن البِينون الذي يبعد عن العاصمة بثلاثمائةمتر(300م)،والذي كان مُدجّجًا بالمدفعية بقيادة دُون مَارتِينْ دِي فِيرْغَاس، حيث سيطر عليه خير الدّين بعد عشرون يوما من القصف بالمدفعية،أجبرهم على الإستسلام،ومن طرائف هذا الحصن رمي طُوبْجِي(سلاح المدفعية) إسباني بالمدفعية، حيث تعود على رَمْيِ المآذنِ الإسلامية لما يسمع الآذان،فوضعه خير الدّين في فوهة المدفع ورمي به في البحر، أمّا مساعده وعشرة من الجند تم حَزُّ رؤوسهم ثم فُجِّر الحصن، وأمّا الأسرى فقد قام بإستغلالهم في بناء كَاسِرِ الأمواج للربط بين القلعة والميناء للحصول على مِيناءٍ جميلٍ،وبذلك أحكم خير الدّين سيطرته الكاملة على السواحل الجزائرية ومنع اقتراب السفن الأوربية خاصّة الإسبانية[60].

*** شَرْشَال:**

أشار خير الدّين في مذكّراته إلى محاولة أُنْدرِي دُورْيا الجَنْوي إعداده مؤامرة لقتله، بعدما وعد ملك إسبانيا كَارْلُوس بذلك، وكَرَدِ فِعلٍ على أعمال خير الدّين بالمتوسّط أغار دُورْيَا على ميناء شَرْشَال،وتمكّن خير الدّين من استرداد شرشال الواقعة غرب الجزائر العاصمة،وأسر السفن الإسبانية،كَلَّفَ خير الدّين آيْدِينْ بأسر أُنْدرِي دوريا حيث وصل آيدين إلى غاية المحيط الأطلسي دون أن يلقاه فَقَفَل راجعًا،وأغار على جزر البَلْيَار، وميُورْقَة،وسواحل إسبانيا،وهجومه على الدِيرِ التي كانت قريبة من بَرشلونة الإسبانية،وأَسْرِه للرُهبان ومصادرة خزائنهم من الفضّة ،وكَرَدٍ على هجوم دُوريَا على شرشال أسر آيدين خمسة وخمسين(55) سفينة إسبانية جُلِبَت إلى ميناء الجزائر[61].

3/5- المَجَالُ الإِقْتِصَادِي:

أ- الإِقْتِصَادُ العُثْمَانِيُ:

لا تَكادُ تخلو مذكّرات خير الدّين بربروس من عدّة إشاراتٍ اقتصاديةٍ ترتبط بالمجال التّجاري البحري العثماني،وعائداته المالية على خزينة الدولة،لذا يُعدُ الجهاد البحري الذي يعتمد على الإغارة وفرض الإِتَاوَاتِ على السفن ومصادرة الأملاك،أهم مصادر اقتصاد آلِ عثمان في العصر الحديث.

وهنا فقد أشار خير الدّين إلى النّظام الإقطاع الحربي الذي إعتمدته الدّولة في مُكافأةِ القادة من جُندها،ومنها والده يعقوب الذي تحصّل على أرضٍ اقطاعيةٍ بمدينة مِيديلي،كما نَوَّهَ إلى ممارسته للتّجارة رُفقة أخيه عرّوج في البحر المتوسّط،خاصة منطقة طَرَابُلُس الشام(لبنان حاليا) لزيادة الربح المالي،ونظرًا لذلك فقد ربط علاقات تجارية مع مختلف أطياف المجتمع، خاصّة أهل الذّمة من اليهود والنصارى بجزيرة رُودَس[62].

ويُضيفُ مُذكِّرًا أكثر من مرّة إلى العملة العثمانية أيّامه والمسماة أُقْجَة،إضافة إلى ممارسة تجارة العبيد بجزيرة رُودس،حيث بِيعَ عرّوج كَعبدٍ لصاحب خير الدّين لِفَكِّ أسره بثمان مائة(800)أُقْجَة،على أنّ من أهم الأساليب التّجارية في المعاملات هي المقايضة،حيث إستبدل خير الدّين القمح بالشعير،وتوفير بعض المنتجات التي تنعدم بمدينته خاصّة الخيول والبغال[63].

والظّاهر أنّ انتقال خير الدّين إلى تونس، عمل على تنشيط التّجارة بالأسواق التونسية، نتيجة ارتفاع العمل البحري وإقباله على تجديد الأسطول؛كشرائه لسفينة بحرية ذات أربعة وعشرين(24)مقعدًا،ناهيك عنسيطرته على العديد من السفن المحمّلة بالسلع،ومنها: القمح، العسل، الزيتون،الجبن،الحديد،كما مارس بيع الأسرى حيث باع حوالي مائة وخمس وثمانين(285)جذّافًا،قدرت قيمة الفرد منهم خمسمائة(500)دينار،مع دفعه للرسوم الجُمركية على هذا النّوع من البيوع،ولعلّ ارتفاع أجور البحارة لديه،دَليلٌ على الثروة المالية التي كَوَّنها الأخوين من عمليات الجهاد

البحري،حيث بلغت أُجرة البحار أيّامها تسعون(90)دينارا للفرد الواحد والرؤساء مائة وخمسة وتسعون(195)دينارا[64]

ب- الإقْتِصَادُ الجَزَائِرِيُ:

نَوَّهَ خير الدّين إلى بعض الشَذَراتِ المتعلّقة بالإقتصاد الجزائري إبّان الحِقبة العثمانية،والتي ارتّبطت بالجهاد البحري بشكلٍ كبيرٍ،لذا كان سكان المدن الساحلية الخاضعة للحكم التركي قد إستفادت من عَوَائِدِ الغنائم المالية التي تُدِرُّها عمليات الجهاد البحري،حيث يمكن إجمالها في النّقاط التّالية:

* تشجيع الهجرة الأندلسية إلى الجزائر خاصّة المدن الساحلية،ومنها إشارته الى مدينة مُسْتغانم التي عرفت الوفود الأندلسية،حيث كان أغلبهم من الصنّاع المهرة وممتهني حرفة الفلاحة.

*ضرب عملة جديدة في تلمسان بإسم السلطان العثماني سليم إعلانًا عن التّبعية السّياسية والإدارية للخلافة العثمانية،إضافة إلى الدّعاء له على المنابر[65].

* قيام خير الدّين بشجيع العمل التّجاري بجيجل بعد رحيله من العاصمة،وإقامته العديد من الثكنات والمنازل وتشجيع حركتا البيع والشراء بالأسواق ومنها؛بيع القمح للسكان، بناء مصنع لصناعة السفن،ولعلّ توافد التّجار الأوربيين عليها بكثرة دليلٌ على حيوية النّشاط التّجاري بها[66].

* إزدياد ثراء المجتمع الجزائري نظرا لكثرة الغنائم زمن البحار آيدين العائد من إسبانيا،حتى نافست أسواق الجزائر أسواق الهند من رُخْصِ الأسعار،حيث كان التّجار الأجانب يشترون السّلع من الجزائر بدينار ويبيعونها بعشرة(10)دنانير للآخرين في مناطق أخرى، حتّى أضحى تجارها ذَوي ثراءٍ فاحشٍ،ولعلّ إرتفاع عدد الأسرى إلى ستة عشر(16)ألف أسير،دليلٌ على وفرة اليد العاملة الرخيصة،منهم ما نُقِلَ إلى إسطنبول للعمل كمجذّفين بالسفن العثمانية[67].

4/5- المَجَالُ الإجْتِمَاعِيُ:

أ- المُجْتَمَعُ العُثْمَانِيُ:

يُفيدُنَا خير الدّين بربروس بالأوضاع المحيطة بعائلته البسيطة كنمُوذجٍ مُصغَّرٍ من الأسر الأَرِستُقراطية العثمانية في مدينة ميديلي،حيث أشار إلى بدايات استقرار والده بجزيرة ميدلي بعدما كان جُنديًا في فرسان السَبَاهية،وامتلاك أسرته لأرض إقطاعية مُنحت لهم من السلطان محمّد الفاتح،كما نَوَّهَ بأصول أمّه التي ترجع إلى إحدى بنات الجزيرة،وأوصاف والده الذي كان شجاعا وأَنيقَ المظهر،وإخوته الأربع،حيث أنّ أخاه إلياس قد لَقِيَ حَتْفه في معركة ضد فرسان جزيرة رُودس،ولعلّ من شدّة تعلّقه بعرّوج فقد أشار إلى محنته بجزيرة رودس وإتقانه للعديد من اللّغات [68].

والمستشف من خلال هذه المذكّرات أنّ خير الدّين حاول إظهار نَوْعٍ من التكافل الإجتماعي مع الفئات الفقيرة،خاصّة بتونس من خلال توزيع الغنائم،وإعداد الولائم الجماعية التي تصل إلى سبعة أيّامٍ بلياليها،إضافة إلى تزويج العُزَّابِ،وإقامة الختان الجماعي،توزيع الثياب المَخِيطَة،رفع المستوى المعيشي للسكان برفع الدخل الفردي،ناهيك عن توزيع السّلع المُصَادرة من السفن الأوربية مجانًا على الفقراء أو تقديم الهدايا لصاحب تونس[69].

ب- المُجْتَمَعُ الجَزَائِرِيُ:

عَمَلَ خير الدّين على إظهار رَأفَتِهِ ومساندته للمجتمع الجزائري منذ قدومه إلى أرض الجزائر،وذلك لتحقيق المشروع السّياسي الذي كان يصبو إليه وهو إقامةُ دولةٍ عثمانيةٍ ذات مبادئ إسلامية،قائمة على طرد الصليبين من المنطقة،وإحكام السيطرة على حوض المتوسّط لذا عمل على التّقرب من الرعية عن طريق:

*توزيع المساعدات على سكان جيجل بعد دخول عرّوج مدينة الجزائر،ومن هذه المساعدات ما غنمه خير الدّين في طريقه إلى أخيه بالجزائر ومنها القمح، وأموال الغنائم.

* العفو عند المقدرة،عند ما عفا عن أهل تنس بعد تحالفهم مع الإسبان ضدّ الأخوين[70]. *إظهار خير الدّين نوع من الإنسانية في العفو عن السلطان التونسي المتحالف مع إبن القاضي.

* القيام خير الدين بالحديث مع الأسرى الذين لديه للحصول على المعلومات والحصول على الجواسيس.

* قيام خير الدّين بجمع اليتامى والأطفال للختان الجماعي،وتزويج البنات،وتوزيع المال،و المساكن على الفقراء وتشغيل العاطلين[71].

5/5-المَجَالُ العَالَمِيُ:

تَنْطَوي مذكّرات خير الدّين بربروس على العديد من الإشارات التّاريخية التي تجعل منه شخصيةً عالميةً نظرا

لشيوع الخبر عنها بالمتوسّط،والتي تبدو واضحة من خلال إقباله على حراسة السفن التّجارية القادمة من الهند خِدمةً لسلطان مصر ضدّ عمليات القرصنة البرتغالية،وتقويضه للعديد من السفن التي تمارس الإغارة بالمتوسط،خاصّة إسبانيا وجمهوريات إيطاليا الجنوبية،ولعلّ ما زاد من شهرة خير الدّين هو تقديمه للمساعدات المتتالية لمسلمي الأندلس،وحرصه على نقلهم إلى مناطق آمنةٍ بشمال إفريقيا [72].

وتبدو عالمية خير الدّين في الإقتراح الذي عرضه على البحار إبراهيم باشا في توجيه الحملات العسكرية البحرية إلى العالم الجديد أمريكا،لِيَسْطُعَ نجمه بشكلٍ واضحٍ عندما أنزل الهزيمة بقوّات التّحالف الأوروبي في معركة بْرُوزَة مُكبّدًا إيّاها خسائر جمّة جعلتهم يجرّون أذيال الهزيمة[73].

6/5- المَجَالُ الدِّينِيُ:

أ- مَعَ آلِ عُثْمَان:

عَمد خير الدّين إلى الإشادة بأخيه عرّوج في الكثير من الأحيان،ومنها إقبال عرّوج على التشبّث بالله لمّا كان بالأسر،ودعوته ليخلصه من ذلك،ورفضه التّخلي عن الدّين الإسلامي بعد ما عرضت عليه الدّيانة المسيحية،لذا فإنّنا نلمس ذلك من خلال تشجيع السلطان العثماني لعرّوج في ضرورة إصلاح سفنه لمواصلة الجهاد البحري،كما برز حُبُّه لوطنه وإيمانه بالرجوع إلى الأصل الأوّل بعد رحلةٍ شاقةٍ من الجهاد،وربّما كانت الدعوات المباركة التي يطلبها من الأخ الأكبر إسحاق دليلٌ على ميله للآخرة دون الحياة الدّنيا[74] .

ب- مَعَ المُجْتَمَعِ الجَزَائِرِي:

بدأت ملامح التّوجه الدّيني لخير الدّين تظهر جليًا منذ إعلانه الجهاد الإسلامي في الجزائر بعد تحرير الجزائر من الإسبان بقوله:"**وارتفعت رَايةُ التُّركِ وانهزمت اسبانيا، التي كانت تعتبر أكبر دولةٍ كافرةٍ أمّا أخي عرّوج،وَمَرَغَ أنف الملك كَارلُوس في التراب،سوّد الله وجوه الكَافرينَ**"[75]

ومن مظاهر تطبيق تعاليم الدّين الإسلامي، لجوئه إلى الفقهاء في إخماد الفتن وأبرزها تعامله مع أمير تنس الخائن،حيث قام عرّوج بجمع العلماء لسماع فتوى في قتله فكان ردهم:"**قَتْلُه وَاجبٌ ودَمُهَ هَدرٌ ومَالُهُ مُبَاحٌ**"،ولعل بروز روح الإستماتة التي أبرزها عرّوج في قتال الإسبان بضواحي تلمسان دليلٌ على ذلك [76]

7/5- المَجَالُ الإِدَارِيُ والتَّنْظِيمِيُ:

أ- الإِدَارَةُ العُثْمَانِيَّةُ:

أشار خير الدّين إلى طبيعة المراسلات التي يتواصل بها مع الإستانة عن طريق الأوامر السُلطانية المسمّاة بالفَرَمَان،كما نوّه ببعض القادة الذين تولّوا بعض الولايات،ومنهم الأمير قَرْقُود الذي سيطر على أَنْطَاكِية(تركيا حاليا) وهو الإبن الثالث للسلطان بايزيد الثاني(851-918هـ/1447-1512م)،والأخ الأكبر للسلطان سليم الأوّل والذي إشتهر بحماية البحّارة الأتراك [77].

ب- الإِدَارَةُ الجَزَائِرِيَّةُ:

نوّه خير الدّين في مذكّراته إلى بداية التّنظيم الإداري في الجزائر بسيطرة خير الدّين على أحد الخونة الذين أشار إليهم عرّوج،حيث حُزّت رأسه وعُيّن بدله بالمنطقة القريبة من جيجل،كما أشار إلى خضوع الجزائر إلى الخلافة العثمانية بشكلٍ رسمي،وتعيين خير الدّين بَايْلَرْ بَايًا عليها،والذي عرف عند الأوربيين بملك الجزائر[78]،أمّا في المجال البحري فقد أشار الى إسناد قيادة الأسطول الجزائري للقائد آيدين بدلاً من سِنَان باشاوالذي لقبه الإسبان بالشّيطانِ الضَّارِبِ أو الكافر الضَّارِبِ،وصديقه صالح رَايَس الذي عيّن لقيادة الأسطول و لحماية المسلمين الأسرى الأندلس[79].

8/5- المَجَالُ الثَّقَافِيُ:

تَكادُ تخلو مذكّرات خير الدّين من الإشارات الثقافية والعلمية ما عدا ماذكره عن خزانة الكتب التي كان يمتلكها سليمان القانوني، والتي وضعت بها هذه المذكّرات بطلب منه؛نظرا لكون السلطان كان شَغُوفًا بالقراءة والإطّلاع على أمجاد الأتراك[80].

6- المَوْضُوعِيَّةُ التَّارِيخِيَّةُ فِي مُذَكِّرَاتِ خَيْرُ الدِّينِ بَرْبَرُوس:

أخذت مذكّرات خير الدّين بربروس في طابعها العام توجّهًا عسكريًا سياسيًا وإقتصاديًا محضًا،لكون هذه المذكّرات تمجّد بطولات الأسرة اليعقوبية خاصة الأخوين عرّوج وخير الدّين،لذا كان خير الدّين كثير الإشادة بأخيه عرّوج مُعجبًا به في كلّ مراحل حياته الجهادية،والظّاهر أنّ هذا الموقف الذي اتّخذه خير الدّين من أخيه، جعله يجعل منه شخصًا

أُسطوريًا وبطلاً لا مثيلَ، له خاصّة في قتال الإسبان،ومن ذلك قتله لمائة جندي إسباني بيد واحدة وفي يوم شديد الحرّ[81].

ومن هنا فقد أظهرت هذه المذكّرات بعض المبالغات التّاريخية،ولعلّ القَصدُ منها تمجيد صورة الأخوين لدى السلطان العثماني سليمان، حيث نجده غي بعض الأحيان يستعمل عبارات تهكُمِية ضدّ المنافسين له،حيث وصف ابن القاضي بإبن الحَرَامِ والبَدَوي وألصق بسكان تلمسان صفة الغَباءِ والحَماقةِ وسوء فهم القدر الإلهي[82]،ولعلّ من أبرز مظاهر حبّ الذات وترجيح فكره اليقيني هو محاولته التّظاهر بالتّخلي عن الجزائر العاصمة لإبن القاضي، والتي كان الهدف منها معرفة درجة ميل الرعية للحكم التركي،وإختبار درجة الذكاء أو السذاجة المجتمع الجزائري،لذا كان كثيرا ما يُقْنعُ نفسه أنّه هو الشخص الوحيد والمنقذ لسكان الجزائر من الإسبان[83].

وبذلك فإنّ هذه المذكّرات وإنِ إنطوت على العديد من الأحداث التّاريخية المطابقة للحقيقة، إلاّ أنّ بروز النّزعة التركية والميل إلى الأصل وحبّ الذات،تبدو واضحة في طريقة تعامله مع سكان شمال إفريقيا،ولعلّ هذا التوجّه يجعل الباحث يُثير مجدّدًا مسألة الوجود العثماني في الجزائر؟.

خَاتِمَةٌ:

وفي ختام هذه الورقة البحثية،يمكننا القول أنّ مذكّرات خير الدّين بربروس قد اشتملت على العديد من الإشارات التي تتعلّق بتاريخ الجزائر العثمانية في المجال العسكري والسّياسي والإقتصادي،أمام غياب الإشارات التّاريخية ذات الطابع الإجتماعي والثقافي.

ولعلّ هذا الإقصاء المتعمّد،مُرتبطٌ بطبيعة المذكّرات التي كان الغرض منها جمع خُلاصة تجارب شخصية ذات طابعٍ بطوليٍ موجّهة للإستثمار من طرف السلطان العثماني،لذا فإنّ ما انطوت عليه هذه المذكّرات من أحداث تاريخية يكمن أن تُنير بعض الجوانب المظلمة من تاريخ الجزائر العثماني،خاصة وأنّ عرضها جاء مُفصّلاً مُدعّمًا بالإحصائيات العددية التي قلّما نجدها في مذكّرات أخرى.

الهوامش

01- وليم سبنسر،**الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتقديم عبد القادر زبادة، المكتبة الوطنية للنّشر والتّوزيع،الجزائر،د.ت،ص:25.

02- محمّد يوسف الزّياني،**دَليلُ الحَيْرانِ وأَنِيسُ السَّهْرانِ في أخبارِ مدينة وهران**،تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر،1400هـ/1979م ،ص:183.

03- الأغا بن عودة المزاري،**طَلَعُ سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى آخر القرن التاسع عشر**،دراسة وتحقيق يحي بوعزيز،ط.1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1411هـ/1990م،ص:251-252؛أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492-1792**،ط.1،دار البصائر، الجزائر،1428هـ/2007م،ص:142.

04- مجهول، **سيرة المجاهد خير الدّين بربروس**،تحقيق وتقديم وتعليق عبد الله حمادي،دار القصبة للنّشر،1430هـ/2009م،ص:05؛في حين تذكر مصادر أخرى أنّ عمره يوم وفاته كان83 سنة أي أنّه ولد سنة868هـ/1463م،ينظر:خير الدين بربروس،**مذكّرات خير الدين بربروس**،ترجمة محمّد درّاج،ط.1،شركة الأصالة للنّشر والتوزيع،الجزائر،1431هـ/2010م،ص:214(الهامش)

05- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو،**دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر،د.ت،ص:128.

06- محمّد لعباسي، **أعمال خير الدّين بربوس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدّين لمؤلّف مجهول من سنة918هـ/1512م الى سنة953هـ/1546م**،رسالة ماجستير،إشراف الجيلالي سلطاني، كلّية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،قسم الحضارة الإسلامية،جامعة وهران،1426-1427هـ/2005-2006م،ص:22.

07- جون .ب.ولف، **الجزائر وأوربا1500-1830**،ترجمة أبو القاسم سعد الله،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1407هـ/1986م،ص:35-36.

08- عزيز سامح التر،**الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**،ترجمة محمود علي عامر،ط.1،دار النّهضة العربية،لبنان،1410هـ/1989م،ص:45.

09- مرمول كربخال،(كان حيا سنة979هـ/1571م)،**إفريقيا**،ترجمة محمد حجي وآخرون،دار المعارف،الرباط، المغرب،1408-1409هـ/1988-1989م،ج2،ص:327 وما بعدها ؛الوزّان،أبو الحسن بن محمد الفاسي(كان حيا سنة957هـ/1550م)،**وصف إفريقيا**،ط.2،ترجمة محمّد حجّي ومحمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1404هـ/1983م،ج2،ص:30-31.

10- مجهول،المصدر السابق،ص:66-67؛ الناصري،أبو العباس أحمد بن خالد،**الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى**،تحقيق وتعليق جعفر الناصري و محمّد الناصري،دار الكتاب،الدار البيضاء،المغرب،1375هـ/1955م،ج2،ص:162.

11- محمّد الطمار،**تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1405هـ/1984م،ص:229.

12- عزيز سامح التر،المرجع السابق،ص:48،53؛صالح عباد،**الجزائر خلال الحكم التركي1514-1830م**،دار هومة،الجزائر،1433هـ/2012م،ص:44 وما بعدها.

13- محمّد لعباسي،المرجع السابق،ص:33-36؛محمّد السعيد عقيب،**دور خير الدّين بربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر**،مجلّة البحوث والدّراسات، العدد19،السنة التّاسعة،1433هـ/2012م،ص:297-300.

14- محمّد لعباسي،المرجع السابق،ص:22-23.

15- ونقصد كتاب سيرة المجاهد خير الدّين بربروس لمؤلف مجهول،حيث يعد الكتاب تخليدا لهذه الشخصية وبطولاتها البحرية والجهادية بالمتوسط، والذي يعد أصل الكتاب مفقودا لكونه ترجمة عن ترجمة من غير العربية،ينظر،مجهول،المصدر السابق،ص:24-25(قسم الدراسة).

16-أبو القاسم سعد الله،**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**،ط.1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1417هـ/1996م،ج2،ص:321.

17- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:20.

18- نفسه،ص:4-8(قسم الدراسة).

19- نفسه،ص:1-4(قسم الدراسة)

20- نفسه،ص:20-21.

21- نفسه،ص:64-65.

22- نفسه،ص:68-69.

23- نفسه،ص:146.

24- نفسه،ص:166.

25- نفسه،ص:67؛ وعن هذه الرسالة ينظر:مجهول،المصدر السابق،ص:66-67؛أحمد بن أبي الضياف، **إتحافُ أهل الزّمان بأخبار مُلوك تونس وعهد الزّمان**،ط.2،الدار التونسية للنّشر،تونس،1398هـ/1977م،ج2،ص:10.

26- نفسه،ص:84-85؛محمّد لعباسي،المرجع السابق،ص:45

27- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:95.

28- نفسه،ص:98-99

29- نفسه،ص:98.

30- عن أعمال حسن آغا ينظر:عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو،المرجع السابق،ص:191-193

31- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص: 21-22 ،35.

32- نفسه،ص:35،23-36.

33- نفسه،ص: ص:39-43، 46-47.

34- نفسه،ص:50-51.

35- نفسه،ص:58.

36- نفسه،ص: 167-169.

37- نفسه،ص:70، 160-161.

38- نفسه،ص:170-177، 184-186، 192.

39- تذكر بعض الدّراسات أن هذه المعركة هي الأولى لتحرير بجاية سنة 918هـ/1512م والتي باءت بالفشل،ينظر:يحي بوعزيز،**علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا1500-1830**،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1406هـ/1985م،ص:35؛ خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:52-70،54-71.

40- وتذكر المصادر أنّ السلطان الحفصي الذي منع المدد على الأخوين هو محمّد بن الحسن خوفا على مُلكه سنة 1514م،ينظر:مجهول،المصدر السابق،ص:72-73؛ خير الدين بربروس،المصدر السابق،ص:72-74؛محمّد لعباسي،المرجع السابق،ص:42

41- مجهول،المصدر السابق،ص:85-87؛ خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:75-79.

42- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:80-82؛محمّد لعباسي،المرجع السابق،ص:45.

43- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:83-85.

44- ونقصد هنا السلطان الزّياني أبو حمو الثالث الفار،حيث أفرج عرّوج عن أخويه مولاي عبد الله ومولاي مسعود،ينظر: مجهول،المصدر السابق،ص:90-91 ؛ خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:86-87 ؛بن عتو بلبروات،**سلاطين مملكة تلمسان الزّيانية في مواجهة الإخوة بربروس1517-1545**،مجلّة عصور الجديدة،العدد02(عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية)، جامعة وهران،1432هـ/2011م،ص:216

45- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص: 87-88؛ويقصد بالقلعة قلعة بني راشد المحصّنة طبيعيا والغنية بالمنتجات الزراعية التي اتّخذها عروج ملاذًا له من جند التّحالف الزّياني الإسباني ينظر:بن عتو بلبروات،المرجع السابق،ص:217؛محمد لعباسي،المرجع السابق،ص:46.

46- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:89 ؛ بن عتو بلبروات،المرجع السابق،ص:217-218.

47- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:91-93؛تمّ اغتيال عرّوج من طرف الإسبان يوم عيد الفطر935هـ/1518م قرب نهر المالح أو نهر وجدة أو في جبل بني يَزْنَاسَنْ،ينظر:بن عتو بلبروات،المرجع السابق،ص:218-219.

48- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:100.

49-نفسه،ص: 102-104؛محمّد لعباسي،المرجع السابق،ص:62؛بن عتو بلربروات،المرجع السابق،ص:221.

50- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:105؛تمكّن خير الدّين من فتح مستغانم سنة 924هـ/1518م،ينظر:صالح عباد،المرجع السابق،ص:56

51- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:107-108.

52- نفسه،ص: 131،108-132؛بن عتو بلبروات،المرجع السابق،ص:223.

53- نفسه،ص:109-111؛يعد ابن القاضي الغُبريني المدعو بوقَطَّاش من أبرز رجال السياسة والدّين كان قاضيا على بجاية زمن الحفصيين حيث خرج عن خير الدّين،ينظر:عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو،المرجع السابق،ص:147-148.

54- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:112-113؛ محمّد لعباسي،المرجع السابق،ص:63، 68.

55- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:114-116؛ محمّد لعباسي،المرجع السابق،ص:66-67؛ عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو،المرجع السابق،ص:148-149.

56- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:117-119؛مجهول،المصدر السابق،ص:127-129.

57- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص120، 122-124.

58- نفسه،ص:126-127 ،129-130.

59- نفسه،ص:133-134.

60- نفسه،ص:135-136، 138،وتذكر بعض المراجع أنّ هناك إختلافًا حول تاريخ فتح الحصن فقد يكون سنة1529م أو سنة1532م أو سنة 1530م،ينظر:محمّد لعباسي،المرجع السابق،ص:53؛

Fray Diego de Haedo,Abbé deFromesta,„**Histoire Rois Des D'alger**,Traduite et annotée par H.D.De Grammot,AdolpheJourdan,libraire-editeure,Alger,1881,p :35.

61- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:152-153؛صالح عباد،المرجع السابق،ص:53؛وعن أهم أعمال أندري دوريا بالمتوسط،ينظر: عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو،المرجع السابق،ص:156 وما بعدها.

62- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:21-23.

63- نفسه،ص:23، 25، 44.

64-نفسه،ص:45-46، 48، 58.

65- نفسه،ص:105، 108.

66-نفسه،ص:120-121.

67- نفسه،ص:153؛حنيفي هلايلي،**أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**،ط.1،دار الهدى للطباعة والنّشر والتّوزيع،الجزائر،1429هـ/2008م،ص:179-180

68- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:21-22، 29، 32-33.

69- نفسه،ص:48، 56، 60-62.

70- نفسه،ص:79، 84-85، 121؛ عن نمط حياة فئة الجيجلين ينظر:حنيفي هلايلي،المرجع السابق،ص:171-172.

71- خير الدّين بربروس،المصدر السابق،ص:110، 137، 147.

72- نفسه،ص:34، 49، 55-56، 67.

73- نفسه،ص:94.

74-نفسه،ص:27، 30، 56،37-57.

75- نفسه،ص:49

76- نفسه،ص:83، 92.

77- نفسه،ص:20، 29.

78- نفسه،ص:79، 94؛حنيفي هلايلي،المرجع السابق،ص:130-132.

79- خير الدين بربروس،المصدر السابق،ص:140-141.

80- نفسه،ص:20.

81- نفسه،ص:92.

82- نفسه،ص:107، 109-111.

83- نفسه،ص:112-113.

قائمة المصادر والمراجع:

-المصادر:

01- بربروس خير الدين ،**مذكّرات خير الدين بربروس**،ترجمة محمّد درّاج،ط.1،شركة الأصالة للنّشر والتوزيع،الجزائر،1431هـ/2010م.

02- الزّياني محمّد يوسف ، **دَليلُ الحَيْرانِ وأَنِيسُ السَّهْرانِ في أخبارِ مدينة وهران**،تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر،1400هـ/1979م.

03- بن أبي الضياف أحمد، **إتحافُ أهل الزّمان بأخبار مُلوك تونس وعهد الزّمان**،ط.2،الدار التونسية للنّشر،تونس،1398هـ/1977م.

04- كربخال مرمول ،(كان حيا سنة979هـ/1571م)،**إفريقيا**،ترجمة محمّد حجي وآخرون،دار المعارف،الرباط، المغرب،1408-1409هـ/1988-1989م.

05- مجهول، **سيرة المجاهد خير الدّين بربروس**،تحقيق وتقديم وتعليق عبد الله حمادي،دار القصبة للنّشر،1430هـ/2009م.

06- المزاري الأغا بن عودة ،**طَلَعُ سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى آخر القرن التاسع عشر**،دراسة وتحقيق يحي بوعزيز،ط.1، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1411هـ/1990م.

07- الوزّان،أبو الحسن بن محمد الفاسي(كان حيا سنة957هـ/1550م)،**وصف إفريقيا**،ط.2،ترجمة محمّد حجّي ومحمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1404هـ/1983م.

- المراجع العربية:

08- بن أشنهو عبد الحميد بن أبي زيان ،**دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر،د.ت.

09- بوعزيز،يحي **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا1500-1830**،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1406هـ/1985م.

10- التر عزيز سامح ،**الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**،ترجمة محمود علي عامر،ط.1،دار النّهضة العربية،لبنان،1410هـ/1989م.

11-سعد الله أبو القاسم ،**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**،ط.1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1417هـ/1996م.

12- عباد صالح،**الجزائر خلال الحكم التركي1514-1830م**،دار هومة،الجزائر،1433هـ/2012م.

13-الطمار محمّد ،**تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر**،المؤسّسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1405هـ/1984م.

14-المدني أحمد توفيق ، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492-1792**،ط.1،دار البصائر، الجزائر،1428هـ/2007م.
15- النّاصري،أبو العبّاس أحمد بن خالد،**الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى**،تحقيق وتعليق جعفر النّاصري و محمّد النّاصري،دار الكتاب،الدار البيضاء،المغرب،1375هـ/1955م.
16- هلايلي حنيفي ،**أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**،ط.1،دار الهدى للطباعة والنّشر والتّوزيع،الجزائر،1429هـ/2008م.
- المراجع المُعرّبة:
17- سبنسر وليم ،**الجزائر في عهد رياس البحر**،تعريب وتقديم عبد القادر زبادة، المكتبة الوطنية للنّشر والتّوزيع،الجزائر،د.ت.
18- ولف جون .ب. ، **الجزائر وأوربا1500-1830**،ترجمة أبو القاسم سعد الله،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1407هـ/1986م.
- المراجع الأجنبية:
19 **Rois Des** deFromesta,,**Histoire** - Fray Diego de Haedo,Abbé **D'alger**,Traduite et annotée par H.D.De Grammot,AdolpheJourdan,libraire-editeure,Alger,1881.
- الرسائل الجامعية:
20- لعباسي محمّد ،**أعمال خير الدّين بربوس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط عّروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدّين لمؤلّف مجهول من سنة918هـ/1512م الى سنة953هـ/1546م**،رسالة ماجستير،إشراف الجيلالي سلطاني، كلّية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،قسم الحضارة الإسلامية،جامعة وهران،1426-1427هـ/2005-2006م.
- المقالات:
21- بلبروات بن عتو ،**سلاطين مملكة تلمسان الزّيانية في مواجهة الإخوة بربروس1517-1545**،مجلّة عصور الجديدة،العدد02(عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية)، جامعة وهران،1432هـ/2011م.
22- عقيب محمّد السعيد ، **دور خير الدّين بربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر**،مجلّة البحوث والدّراسات، العدد19،السنة التّاسعة،1433هـ/2012م.
-المواقع الإلكترونية:
23-www.alukah.net .،معركة برزوة مجد البحرية العثمانية، بتاريخ 2019/07/10 ،وقت الدخول 08.26 ووقت الخروج08.38.

مصطلحات وشخصيات هامة:

***بايلرباي:** ويقصد بها أمير الأمراء ،وهي من المناصب العليا بالدولة العثمانية التي تقلدها خيرالدين بربوس وتدل على نيابة السلطان العثماني بالجزائر.ينظر:حنيفي هلايلي،المرجع السابق،ص:130(الهامش).

***البينون:**وهي الصخرة المقابلة لمدينة الجزائر على شكل قلعة جميلة،وقد كلّف القائد الأكبر للأسطول الإسباني بيير نفارو سنة 916هـ/1510م القائد دييكو دي فيرا بتأسيسها.ينظر:الوزان،المصدر السابق،ج2،ص:38.

***أندري دوريا:**من ابرز البحارة المرتزقة الجنويين عاش مابين سنتي(870-968هـ/1465-1560م)،خضع له أسطول بحري يمارس به مهنة القرصنة مقابل المال،خدم ملك فرنسا فرانسوا الأول والملك الإسباني شارل الخامس.ينظر:صالح عباد،المرجع السابق،ص:53.

***حسن آغا:**تولى نيابة الحكم بعد خير الدين الذي أكرم تربيته وتعليمه توفي سنة953هـ/1546م.ينظر:عزيز سامح التر،المرجع السابق،ص:154، 173.

***قارة حسن:**وهو من أبرز الشخصات المقرّبة من خير الدين حيث كلّفه بمراقبة ابن القاضي لغرض إخماد ثورته.ينظر:محمد لعباسي،المرجع السابق،ص:63(الهامش).

***آيدين رايس:** من أشهر البحارة الجزائريين زمن خير الدين بربروس،له من الكفاءة أهلته لقيادة الأسطول نيابة عنه ضد النصارى.ينظر:محمد لعباسي،المرجع السابق،ص:81(الهامش).

***معركة بروزة:**وتعرف بمعركة بريفيزا نظرا لوقوعها بالقرب من ميناء بريفيزا غرب اليونان في04جمادى الأولى945هـ الموافق ل 09/28/ 1538م،بين أسطول خير الدين وأسطول التحالف الأوروبي بقيادة أندري دوريا الذي قاد الأسطول الاسباني،وكان ذلك زمن السلطان سليمان القانوني وهي المعركة التي حسمت التاريخ للعثمانيين بالمتوسط.ينظر:www.alukah.net.
.معركة برزوة مجد البحرية العثمانية، بتاريخ 2019/07/10 ،وقت الدخول 08.26 ووقت الخروج08.38.

***السباهية:**وهم الفرسان الذين يهتمون بالمشاركة في أعمال الحرب مقابل مبالغ مالية أو إمتيازات إقطاعية.ينظر:خير الدين بربروس،المصدر السابق،ص:21.

***الفرمان:**وهو كل قرار أو أمر من الباب العالي يوجب التنفيذ.ينظر: خير الدين بربروس،المصدر السابق،ص:20.

***أقجة:**عملة فضية عثمانية يقابلها الدرهم في ذلك العصر.ينظر: خير الدين بربروس،المصدر السابق،ص:23.

***الأمير قرقود:**الابن الثالث للسلطان بايزيد الثاني والأخ الأكبر للسلطان سليم الأوّل،تعرض للقتل من طرف السلطان سليم الأوّل بعد سيطرته على العرش سنة918هـ/1512م.ينظر: خير الدين بربروس،المصدر السابق،ص:29.

***قبطان باشا:** ويسمى أيضا قبوطان باشا وهو القائد العام للقوات البحرية العثمانية.ينظر: خير الدين بربروس،المصدر السابق،ص:44.

***دوقة:**عملة ذهبية إيطالية أُستعملت في الدول المطلّة على البحر المتوسط زمن سليمان القانوني.ينظر: خير الدين بربروس،المصدر السابق،ص:121.

***صالح رايس:**أصله من الإسكندرية،تعلم فنون البحرية زمن خير الدين وأخيه عرّوج ،وصل الى الجزائر سنة690هـ/1552م يحمل لقب بايلر باي إلى غاية سنة 964هـ/1556م،بعدما تمّ تعيينه من طرف الباب العالي.ينظر: أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق،ص:337-338.

*شارل الخامس:أو كارلوس الخامس ملك اسبانيا(906-966هـ/1500-1558م)،حكم اسبانيا وايطاليا والنمسا والإمبراطورية الرومانية المقدّسة،عرف بشارلكان،كانت له حملة على الجزائر سنة948هـ/1541م.ينظر:أحمد توفيق المدني،المرجع السابق،ص:271 وما بعدها.